

#### المبحث الرابع : العصر الآشوري القديم :

تطلق هذه التسمية عادة على الفترة الواقعة بين سقوط سلالة اور الثالثة (حوالي ٢٠٦ ق. م) وبين منتصف الانف الثاني قبل الياد (حوالي ١٥٢١ ق. م) اي ان بداية هذا العصر تقابل بداية العهد البابلي القديم ، بينما تمتد نهايته الى ما بعد سقوط بابل الاولى بحوالي القرن .

وقد سبق ان اشرنا إلى الوضع السياسي العام الذي تسربت به هذه الفترة والنتائج عن سقوط سلالة اور الثالثة وتدفق الاقوام الامورية المستقلة في سلطتها مختلفة من العراق وعودة البلاد الى عهد التجزئة والانقسام والتنافس للسيطرة على البلاد وعلى الطرق التجارية الرئيسية . وكان من بين السلالات المهمة التي قامت في هذه الفترة سلالة ايسن ولارسا واشنونا وبابل وماري وآشور . وقد ظلل الانقسام والتجزئية يسم البلاد حتىتمكن حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الاولى من اعادة توحيد البلاد واقامة دولة ضمت جميع الدوليات آنفة الذكر .

ولم تكن بلاد آشور بمعزل من الاحداث السياسية العامة التي اجتاحت البلاد ، بل كانت أحد المحاور الرئيسية فيها ولعبت دورا هاما في توجيه السياسة العامة لاسيما في عهد سلالتها الامورية التي اسمها شمشي - زدد الاول .

ونستطيع ان نميز ثلاثة اطوار مختلفة مررت على بلاد آشور في العصر الآشوري القديم ، يبدأ الاول باستهلاك بلاد آشور ويستمر حتى قيام سلالة شمشي ادد الامورية ويشمل الثاني سلالة شمشي - ادد نفسها ( ١٨١٣ - ١٧٤٠ ق. م ) بينما يضم الثالث الفترة الواقعة بعد ذلك وحتى نهاية العهد الآشوري القديم

ومعلومانا عن الطور الاول من هذا العصر قليلة وغامضة وتکاد لا تعود احيانا معرفة اسماء الملوك والحكام كما وردت في جداول الملوك الآشوريين وبعض اعمالهم العملاقة التي اشار إليها عرضا الملوك الآشوريون في الفترات التالية ، كتجديد المعابد وتحصين الاسوار في مدينة آشور . وكان من بين الملوك الذين

ذكرت اسماؤهم الملك كيكا و «بوزور - آشور» الاول وايلوشوما وابنه «ايرشم» الاول .

ويبدو ان الاشوريين قد شعروا في عهد ايلوشوما ( حوالي ١٩٦٢ - ١٩٤٢ ق . م ) بالقوة وبضرورة التوسيع الخارجي والسيطرة على بعض الطرق التجارية المارة ببلاد بابل حيث تشير الاخبار الى محاولة هذا الملك التدخل في شؤون البلاد وتذكر النصوص انه قام بهجوم على بلاد بابل سلك فيه الطريق الواقع الى الشرق من نهر دجلة مارا بمدينة الدير الواقعة على الطريق التجارى الموصى الى بلاد عيلام . كما ادعى ايلوشوما «بانه حرر اور ونفر الواقعتين على الطريق التجارى الى الخليج العربى . وتنقطع معلوماتنا عن بلاد آشور في الفترة التالية ويبدو انها دخلت في فترة مظلمة قلت فيها مواردها الاقتصادية وانكمشت قوتها وربما وقعت تحت نفوذ مملكة اشنونا في عهد ملوكها نرام - سن » .

### المستوطنات التجارية الآشورية : -

الى جانب الغموض الذى يكتنف المحالة السياسية في بلاد آشور في هذا الطور ، هناك معلومات غزيرة وهامة عن العلاقات التجارية بين بلاد آشور وببلاد الاناضول امكن الحصول عليها من مجموعة كبيرة من النصوص المسماوية المكتشفة في منطقة كبدوكيا شرق الاناضول في الموقع المعروف حاليا باسم «كولتبة» ، ( كانيش قديما ) . وتشير هذه النصوص الى وجود جماعات من التجار الاشوريين كانت تقطن في شرق بلاد الاناضول في هواكر تجارية ذات تنظيمات ادارية وقانونية خاصة . ولا يبدو غريبا للمتتبع لتاريخ العراق القديم في الالف الثالث قبل الميلاد وجود مثل هذه الجاليات من التجار في بلاد الاناضول ، تلك البلاد التي كانت مصدرا مهما لجلب المواد الخام ولاسيما النحاس والفضة . فقد اشارت الاخبار الى اقام الملك الاكدى سرجون في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بتجهيز حملة عسكرية لنجددة جالية من التجار الاكديين

كانت تقطن في بلاد الアナضول بينما سيطر نرام سن – الاكدي على بعض اجزاء بلاد الアナضول .

ويبدو ان العلاقات التجارية الآشورية مع بلاد الاناضول اتسعت في الفترة ١٩٥٠ - ١٨٠٠ ق. م وانحدرت شكلًا جديدا حيث استقرت اعداد كبيرة من التجار الآشوريين في شرقى الاناضول واقامت لها عدة مراكز دعى كل منها باسم «كارم» ولا يعرف بالضبط طبيعة الوجود السياسي الآشوري في المنطقة وهل ان هذه المراكز كانت كما يرى بعض المختصين ، أشبه بدوليات مدن تابعة الى سلطة ونفوذ الوطن الام آشور ، او ان المراكز كانت تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي غير انها كانت خلipsea لنفوذ وحماية حكام وامراء الدوليات المحلية . فاما الاحتمال الاول فيفترض سيطرة الدولة الآشورية في هذه الفترة المبكرة من تاريخها على اجزاء كبيرة من بلاد الاناضول وهو افتراض لا تؤيده التطورات السياسية التي رافقـت قيام وازدهار الدولة الآشورية التي لم تسيطر في عهد قوتهاوا زدهارها على هذه المنطقة من بلاد الاناضول . اما الاحتمال الثاني ، فيتضمن تمنع المراكز او المستوطنات التجارية الآشورية في الاناضول بنوع من الاستقلال الاداري والقانوني ضمن اطار سيادة الحكام والامراء المحليين . وقد يكون ذلك مقابل ضرائب معينة تدفع الى الامراء المحليين مقابل حمايتهم للطرق التجارية وضمان سلامتها . مع هذا ، فقد كانت المستوطنات الآشورية تحفظ بولاتها النهائي للدولة الآشورية الام وتدين بديانتها وتتبع نظمها وتقاليدها وقوانينها وتعيش حياة آشورية بصورة عامة . ويؤيد هذا الرأى المعاهدات والاتفاقات التجارية التي كانت تعقد بين المراكز التجارية الآشورية وبين الحكام المحليين لتنظيم العلاقة بينهما على اساس المصالح المشتركة .

وما لاريب فيه انه كان لهذه المستوطنات التجارية اثر كبير في توجيه السياسة العامة في بلاد آشور المعتمدة على الموارد الاقتصادية والثروات الطائلة التي كانت تدرها عليها تجارة هذه المستوطنات . غير ان الظروف التي ساعدت على نشوء

وأزدهار هذه المستوطنات، لم تستمر زمناً طويلاً فقد أعقب فترة نشاط هذه المستوطنات فترة سياسية عام في بلاد الأناضول، ترجع عن تحركات الاتساع الهندي - أوروبية، فيما وراء القوقاز في أوروبا وتدفق بعض الأقوام ، التي دعيت فيما بعد بالآقوام الحثية ، إلى بلاد الأناضول واتباعها النظم السياسية السائدة آنذاك في المنطقة . وكان من جملة نتائج وعواد هذه الأقوام نهاية العلاقات التجارية بين بلاد آشور وببلاد الأناضول ، ولعل ذلك كان من الأسباب التي ساهمت في اضمحلال الدولة الآشورية ودخولها في فترة مظلمة استمرت حتى أيام سلالة شاهنشاهي - إدريس الأول .

ويستفاد من الرقم الطينية الكثيرة المكتشفة في كيدوشكا أن الموقع الذي كان يدار بعرف باسم كانيش (كولتبة حالياً) كان من أهم مراكز التجارة الآشوريين في المنطقة كما تشير هذه التصوص إلى أن التجار الآشوريين كانوا غالباً مؤلفين من الطبقة المشربة الإرستهرامية ، وقد يتحقق تعيين الأسرة في آشور بينما يقوم بعض أفراد أسرته القاطنين في الأناضول بأدوار أعماله التجارية وتنفيذ قطعاته وتجهيزاته .

ومن الطبيعي أن الجاليات الآشورية التي عاشت في بلاد الأناضول لم تكن معزولة عن المجتمع المحلي بل لابد أنها احتللت معه وأمتهنت ، سواء عن طريق التزاوج أو غيره . ومع هذا فقد ظلل الآشوريون يحافظون بولائهم الكامل إلى الوطن الأم آشور وإلى معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم فكان ذلك عاملاً مهماً من عوامل نقل المفهومات الحضارية الآشورية إلى المنطقة . ولعل أبرز مثل ذلك هو انتشار الخط المسناري واستخدامه لكتابية اللغة الحثية فيما بعد .

ومن الجدير بالذكر هنا أن ما يعرف لدينا بالقوانيين الآشورية القديمة ، والمدونة على ثلاثة من اللوحات الطينية . قد تم اكتشافها في كانيش وتشير هذه القوانين ، وإن كانت بحالة تالفة جداً ، إلى اتباع التجار الآشوريين نظمها وأحكاماً ذات أصول آشورية وكان كل مركز من المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول

يعملق عليه بالأكذبة اسم « كارم » الذي قد يعني حرثها تجاريًا أو ميناء . وكان تحكم سرائر ( كارم ) مجلس خاص يقوم يوم بوجاليف متعددة ، باعتباره السلطة الممثلة للتجار . فكان ينظر في القضايا القانونية الخاصة بالمنازعات المختلفة كما كان يقوم بجمع الضرائب والرسوم وصرفها على الأمور العامة كما كان يقوم بعمليات المصرف للمدaiنات والقروض والشئون المصرفية الأخرى ويهم ( فضلاً ) سلامة الطرق التجارية وتمثيل التجار أمام السلطات الآشورية والسلطات المحلية .

وكانت هذه المراكز تقوم بدور الوسيط بين بلاد آشور من جهة وبين بلاد الأناضول من جهة أخرى . فكانت القوافل التجارية تأتي محملة بالبضائع الآشورية ، كالمسووجات والملابس الآشورية والإبلية وحاجات الرصاعات والقصدير التي كانت تستوردها آشور من منطقة اذريجان والجبال المجاورة ، وتعود القوافل محملة بالذهب والفضة والنحاس والاحجار الكريمة ( ۱ ) .

والى جانب الكارم ، كان هناك تنظيمات أخرى للأشوريين في بلاد الأناضول تعرف باسم « وبارتم » ويبدو أنها كانت أشبه بسلطات عسكرية لحماية الطرق التجارية وتضم أشخاصاً محاربين يعيشون في المنطقة كمعازعين ويدافعون عن الطرق التجارية عند الحاجة .

### سلالة شمشي — ادد الاول ( ۱۸۱۴ - ۱۷۴۰ ق. م )

انتهت فترة الاضمحلال التي مرت بها بلاد آشور بقيام سلالة امورية اسمها شمشي — ادد الاول ( ۱۸۱۴ - ۱۷۴۰ ق. م ) وتمثل هذه السلالة الطور الثاني

( ۱ ) حول المستوطنات الآشورية في آسيا الصغرى ، سومر ۲۲ ( ۱۹۷۷ ) ، صفحة ۷۰ - ۹۱ .  
J. Levy ' Some Aspects of Commercial Life in Assyria and Asid Minor ' In Jouranal of American Orient Society. Vol. 78 ( 1958 ), 89ff .

وليد محمد صالح ، رسالة ماجستير غير منشورة ، العلاقات السياسية للدولة الآشورية  
، بغداد ، ۱۹۷۶ ، صفحة ۱۶ .

من العصر الآشوري القديم . وكبقية مؤسسي السلالات الامورية في العهد البابلي القديم ، فان ما هو معروف عن سلف شمشي — ادد قليل وغامض وقد ورد ذكر اسم والده أبل — كبكبو . وبعد ان سيطر شمشي — ادد على بلاد آشور ، بدأ بمحاولاته الاهادفة الى توسيع نفوذه ووجه اهتمامه الاول للسيطرة على مدينة ماري الواقعه على نهر الفرات وقد صادف ان اغتيل حاكم ماري ، وربما بتدبیر من شمشي — ادد ، وهرب ولي العهد زمرى ليم والتتجأ الى مملكة يممحد في حلب فاستطاع شمشي — ادد ان يسيطر على منطقة الفرات الاوسط . ولتنظيم ادارة المقاطعات للنفوذ الآشوري عين ابنه الاصغر يسمخ — ادد نائبا للملك في ماري بينما عين ابنه الاكبر إشمي — دكان نائبا للملك في مقاطعة اكلاتم .

وامتدت علاقات شمشي — ادد الى بلاد سوريا ، ولاسيما مع مملكة يممحد (حلب) وكمر كميش (جرابلس) وقطنا (المشرفة) . وكانت علاقاته عدائيه مع يممحد بينما كانت علاقاته مع كمر كميش وقطنا وثيقة امانتها المصالح التجارية المشتركة .

اما بالنسبة للمنطقة الشرقية من مملكة آشور ، فقد تمكّن شمشي — ادد من بسط نفوذه عليها نتيجة الحملات العسكريه المتعاقبه على القبائل الجبلية الكوتية (التركية) واللوبيه (Turukkum) واللوبيه (Gutians) (١) .

اما علاقة بلاد آشور بملكة اشنونا ، فيبدو ان أحفنة آشور كانت هي الراجحة غالبا بينما كانت علاقة شمشي — ادد بحمورابي ملك بابل الذي عاصره في

( ١ ) ورد ذكر بعض هذه القبائل الجبلية ، ولا سيما اللولبو منذ الالف الثالث قبل الميلاد . فقد ورد اسم قبائل اللولبو على هيئة التولو في عهد الملك الاكدي نرام سن . حيث خلد انتصاراته عليها على منحوتات جميلة نحتها في احد مجازات جبال قره داغ كما يظن ان مثلثة التصور تخلله انتصارات نرام . سن على القبائل نفسه . ( انظر حول ذلك طه باقر المقدمة صفحة ٣٦٩ .

السنوات العشر الاولى من حكمه علاقات صداقة ومحاجمة . وكانت سياسة شمشي - ادد الداخلية سياسة حكيمة اعتمد على ابنائه في ادارة الاقاليم الشرقية والغربية وتتابع تنفيذ سياساته بكل دقة . وتشير الرسائل الكثيرة التي ارسلها الى ابنه في ماري على مدى اهتمامه بادارة المقاطعات وتدخله في كل كبيرة وصغيرة كما يستدل من الرسائل المكتشفة في مدينة ماري على قوة شخصية وحسن ادارة ابنه الاكبر «اشمي - دا كان» مقارنة مع ابنه الآخر الذي اتصف بضعف الادارة .

توفي شمشي — ادد وهو في عنفوان قوته العسكرية وسعة سلطانه واعتبرت حادثة وفاته عام ١٧٨٢ ق . م من الاحداث المهمة التي ارخت بها السنون حتى في مملكة اشنونا . وخلفه في الحكم ابنه الاكبر «اشمي — دakan» الذي حكم ، كما تذكر جداول الملوك فترة طويلة (اربعين او خمسين عاما ) وظل يحكم البلاد حتى بعد سيطرة حمورابي عليها . وعلى الرغم من قوة شخصية «اشمي—Dakan» وخبرته ومارسته الادارة الا انه لم يتمكن من المحافظة على حدود الدولة التي خلفها له ابوه . فبعد وفاة والده مباشرة استقلت معظم الاقاليم والمقاطعات الواقعة على الحدود بينما قامت مملكة اشنونا ومملكة يمخد في سوريا بالعمل مسوية على تقسيم حكم الدولة الآشورية . وعاد «زمري لم» ، ولـي العهد الهارب الى ماري وانهى حكم ابن شمشي — ادد فيها في ظروف لازالت غامضة بينما تقلص نفوذه «اشمي واكان» واقتصر على اراضي بلاد آشور الاصلية فقط . وكما مر بنا سابقا عند الحديث عن بداية العهد البابلي القديم ، كانت البلاد مجزئة الى عدة دوليات متنافسة على السلطة والزعامة وكانت سلالة بابل ، في عهد ملوكها حمورابي ، قد نمت وتعاظمت قوتها ، فقامت الاحلاف الدولية بين الدوليات الحاكمة آنذاك لايقاف تعاظم قوة حمورابي ، فانضمت آشور الى ~~والحلف~~ المضاد لبابل لأن الحلف لم يتمكن ان يقف امام زحف جيوش حمورابي التي قضت على اعضاء الحلف الواحد بعد الآخر وتمكنت من السيطرة على بلاد آشور في السنة الثانية والثلاثين من حكم حمورابي وانتهت بذلك سلالة شمشي — ادد الاول .

ويكتنفتطور الثالث من العصر الآشوري القديم غموضاً كاملاً، فقد دخلت بلاد آشور، بعد أن سيطر عليها حمورابي في فترة دامت زهاء القرنين، لا تعرف عنها شيئاً كثيراً. ويبدو أن آشور استقلت عن نفوذ وسيادة بلاد بابل بعد حمورابي غير أن معلوماتنا عن الوضع السياسي في البلاد لاتتجاوز اسماء بعض الملوك والحكام الذين تابعوا على العرش الآشوري كما جاء ذلك في جداول الملوك الآشورية، كما اشير إلى البعض منهم في كتابات الملوك الآشوريين المتأخرین. وظل الوضع العام مرتبكاً وغامضاً حتى بداية حكم بوزور - آشور الثالث (١٥٢١-١٤٩٨ ق. م) الذي عد عهده بداية للعصر الآشوري الوسيط: